

الوافي في الوفيات

نظرنا فأعدتنا السقام عيونها ... ولدنا فأولتنا النحول خصورها .
وزرنا وأسد الحي تذكي لحاظها ... ويسمع في غاب الرماح زئيرها .
فيا ساعد الله المحب فإنه ... يرى غمرات الموت ثم يزورها .
ولما ألفت للزيارة خلسة ... وسجف الدياجي مسيلات ستورها .
سعى بيننا الواشون حتى جولها ... وثمت بنا الأعداء حتى عبيرها .
وهمت بنا لولا حباثل شعرها ... خطى الصبح لكن قيدتها طفورها .
ليالي يعديني زما ني على العدى ... وإن ملئت حقداً علي صدورها .
ويسعدني شرح الشبيبة والغنى ... إذا شأنها إقتارها وقتيرها .
ومذ قلب الدهر المجن أصابني ... صبوراً على حال قليل صبورها .
فلو تحمل الأيام ما أنا حامل ... لما كاد يمحو صبغة الليل نورها .
سأصبر إما أن تدور صروفها ... علي وإما تستقيم أمورها .
فإن تكن الخنساء إني صخرها ... وإن تكن الزباء إني قصيرها .
وقد ارتدى ثوب الظلام بحسرة ... عليها من الشوس الحماة جسورها .
كأني بأحشاء السباسب خاطر ... فما وجدت إلا وشخصي ضميرها .
وصادية الأحشاء غصى بالها ... يعز على الشعري العبور عبورها .
ينوح بها الخريت ندباً لنفسه ... إذا اختلفت حصاؤها وصخورها .
إذا وطئتها الشمس سال لعابها ... وإن سلكتها الريح طال هديرها .
وإن قامت الحرباء ترصد شمسها ... أصيلاً أذاب اللحظ منها هجيرها .
تجنب عنها للحدار جنوبها ... وتدبر عنها في الهبوب دبورها .
خبرت مرامي أرضها فقتلتها ... وما يقتل الأرضين إلا خبيرها .
بخطوة مرقال أمون عثارها ... كثير على وفق الصواب عثورها .
ألذ من الأنغام رجع بغامها ... وأطرب من سجع الهديل هديرها .
نساهم شطر العيش عيساً سواهما ... لطول السرى لم يبق إلا سطورها .
حروفاً كنونات الصحائف أصبحت ... تخط على طرس الفيا في سطورها .
إذا نظمت نظم القلائد في البرى ... تقلدها خضر الرى ونحورها .
طواها طواها فاغتدت وبطونها ... تجول عليها كالوشاح طهروها .
يعبر عن فرط الحنين أنينها ... ويعرب عما في الضمير ضمورها .

تسير بها نحو الحجاز وقصدها ... ملاعب شعبي بابل وقصورها .
فلما ترامت عن زرود ورمليها ... ولاحت لها أعلام نجد وقورها .
وصدت يميناً عن شميظ وجاوزت ... ربي قطن والشهب قد شف نورها .
وعاج بها عن رمل عاج دليها ... فقامت لعرفان المراد مدورها .
غدت تتفاضنا المسير لأنها ... إلى نحو خير المرسلين مسيرها .
ترض الحصى شوقاً لمن سبج الحصى ... لديه وحياءً بالسلام بغيرها .
إلى خير مبعوث إلى خير أمة ... إلى خير معبود دعاها بشيرها .
ومن بشر الأنام بأنه ... مبشرها عن إذنه ونذيرها .
ومن أخدمت مع وضعه نار فارس ... وزلزل منها عرشها وسريرها .
ومن نطقت توراة موسى بفضله ... وجاء به إنجيلها وزبورها .
محمد خير المرسلين بأسرهم ... وأولها في المجد وهو أخيرها .
فيا آية التي مذ تبلجت ... على خلقه أخفى الظلال طهورها .
عليك سلام يا خير مرسل ... إلى أمة لولاه دام غرورها .
عليك سلام يا خير شافعٍ ... إذا النار ضم الكافرين حصيرها .
عليك سلام يا من تشرفت ... به الإنس طراً واستتم سرورها